المحاضرة (14): الأسرة الجزائرية بين الهوية و المعاصرة

عرفت الأسرة الجزائرية، على امتداد العقود الأخيرة، سلسلة من التحولات العميقة مست بنيتها وادوارها ووظائفها نتيجة التغيرات التي شهدها المجتمع في مختلف المجالات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، وكان لهذا التغير الأثر الكبير في تحديد وتوجيه سلوكات الأفراد والجماعات، مما نتج عنه انقلابات وتغيرات في المكانات داخل المجتمع وفي كل المستويات، خاصة ما تشهده عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتعرض حتما إلى تغيرات جوهرية تكون لها آثار كبيرة على عمليات تكوين الشخصية وإعادة ترتيب القيم، مما يؤدي بالطبع إلى إعادة رسم وتشكيل هوية المجتمع الجزائري.(العماري، 2004، ص154)

إن هذا التغير الذي شمل جميع النواحي الاجتماعية والإنتاجية والتكنولوجية... إلخ، أثر ومس بالدرجة الأولى الأسرة.إذ يرى "مصطفى بن تفنوشت" أن الأسرة الجزائرية أبوية بمعنى أن الأب أو الجد هو القائد المنظم لأمورها، كما تتسم بطابعها الاغنوصي بمعنى أن النسب فيها للذكور، والانتماء أبوي. كما تتميز بخاصيتين هما: أن العائلة الجزائرية غير منقسمة وموسّعة.تعني الأولى أن الأب له مهمة ومسؤولية على الممتلكات، ويغادر أبناؤه وبناته المنزل بعد الزواج. وتعني الثانية أن الأسرة تجمع عددا من الأسر النووية.

أما بالنسبة لأدوار أفراد العائلة الجزائرية، فنجد أن دور الأب والأم في التنشئة له أهمية بالغة؛ إذ يربى الذكور على الرجولة والسلطة والجلَد والمسؤولية، وتربى الإناث على الحسن والحياء والحب والعطف (بركو، 2002، ص17). فحسب سالمي وآيت أحمد "Mohand Aït et Salmi" قديما بمجرد بلوغ الطفل يستبعد من تجمعات النساء والاختلاط بهن، وبداية لبس "الحايك" للفتاة البالغة وخضوعهما لنفس التزامات الكبار.فالمجتمع الجزائري التقليدي مجتمع ذكوري قائم على اختلاف المعاملة بين الذكر والأنثى؛ إذ تزوج الفتاة بعد بلوغها مباشرة، وتهيأ للحياة الزوجية وتربية الأطفال، وكانت في الكثير من المناطق تحرم من حقها في الميراث(Sebaa, 2009, p.40).

غير أنّ التحولات السوسيوثقافية التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال أحدثت تغيرات وتطورات مست توازن التنظيم الاجتماعي للأسرة التقليدية. فبالعودة إلى تلك الفترة، نجد أن البلاد شهدت حالة من عدم الاستقرار في مؤسساتها السياسية، وكانت في طور تنشيط التنمية، خاصة خلال مرحلة تأميم البترول. وبعد سنة 1975، عرفت الجزائر ارتفاعا في أسعار النفط وانتعاشا اقتصاديا ملحوظا، الأمر الذي أدى إلى تحولات اجتماعية واقتصادية عميقة أثرت مباشرة في البنية الأسرية.وكانت النتيجة التوسع السكاني غير المنضبط تحت ضغط الهجرة الريفية إلى المدن على أمل حياة أفضل، والانفجار السكاني من حيث زيادة عدد المواليد.وفي ذلك الوقت كان الهيكل المعماري للمدن من تصميم الاستعمار ومخططا حسب سكانه وحاجاتهم، إلا أن الهجرة الريفية أدت إلى اختلال البنية التحتية للمدينة. ومع عدم مواكبة التصنيع لحاجات الشعب الجزائري، انتشرت البطالة والسكن الفوضوي، لتكون أكثر العواقب المباشرة لهذا النزوح هو اختلال التنظيم الاجتماعي للأسرة التقليدية.(بن جديدي،2016، ص86)

ومع هذه التحولات البنيوية للاسرة، برزت تغيرات واضحة نذكر منها مايلي:

- التحول البنيوي والسكني للأسرة كالتحول من الأسرة الممتدة إلى النووية.
- التغيرات في أنماط الزواج والإنجاب
- حرية اختيار الشريك.
- ارتفاع سن الزواج عند الذكور والإناث، ويعزى ذلك بشكل أساسي إلى التحاق الإناث بمختلف المراحل التعليمية ودخولهن الحياة الاجتماعية والاقتصادية.
- تحديد النسل إذ تميل الأسرة الحديثة إلى استعمال وسائل تحديد النسل رغبة منها في تقليل عدد الأطفال، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة.
- ميل نحو النظام الأحادي للزوجات (الزواج الأحادي) لغلاء المعيشة وأزمة السكن.
- التغيرات في الأدوار والوظائف الأسرية
- ضعف الوظائف التقليدية حيث أصبحت الأسرة تتقاسم وظائفها مع مختلف المؤسسات الاجتماعية.
- دخول الزوجة لميادين العمل والمشاركة في النفقات.
- تحرر الشباب وضعف الضبط الاجتماعي.
- تغير نموذج السلطة الأسرية:

- ظهرت عوامل ساعدت على التحرر من سلطة العائلة، مثل زيادة فرص التعليم والالتحاق بوظائف حكومية مستقرة.
- ضعف الروابط القرابية.(لغريبي وصباط، 2022)

في ختام هذه المحاضرة، تجدون موجزا لأهم ما جاء فيها، كما هو مبين في الشكل التالي:

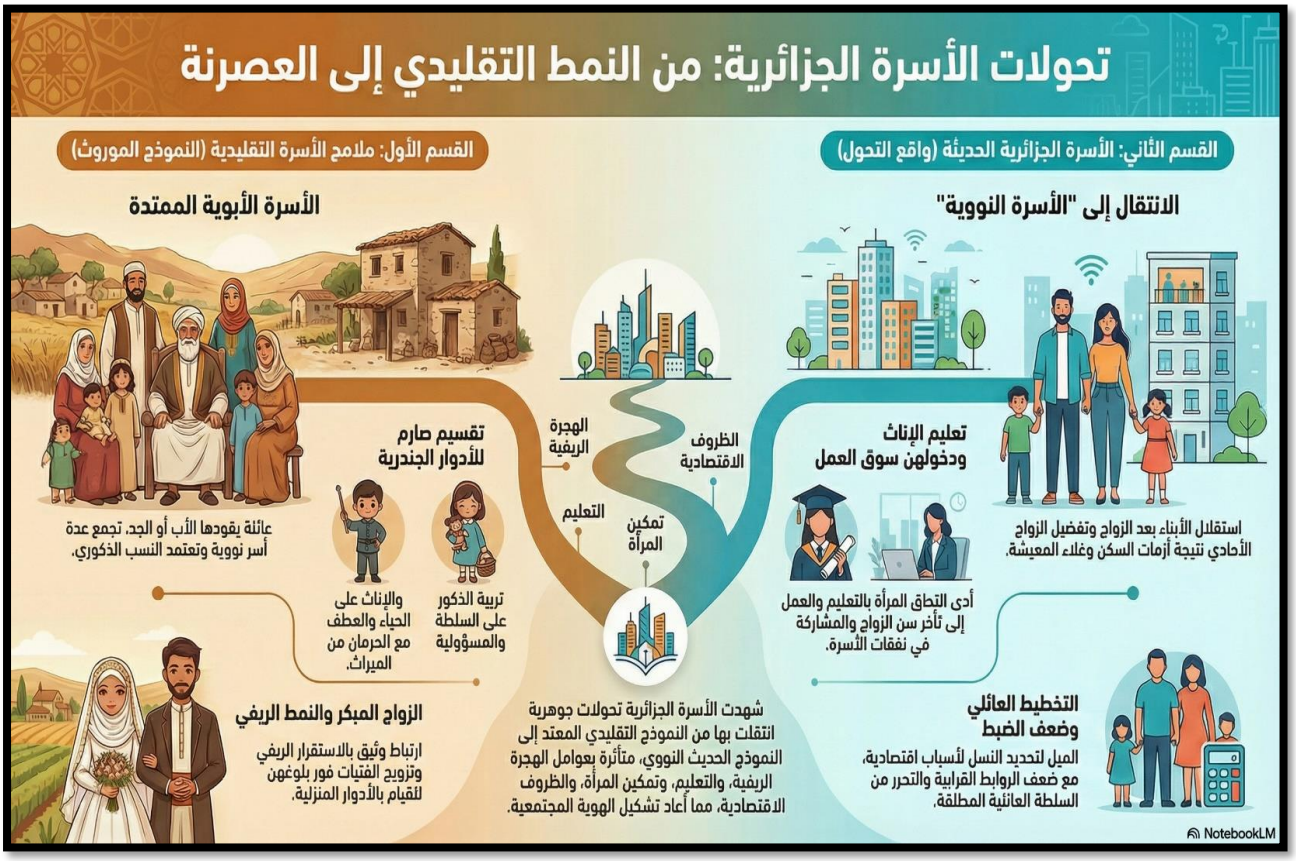

الشكل رقم(17): تحولات الاسرة الجزائرية. (تم الاستعانة بأداة NotebookLM)